الفصل الثانى

أثر الطاعات فى بركة الأرزاق

المحتـــوى

(٢-١) - تمهيد .
(٢-٢) - معنى الطاعات فى ضوء القرآن والسنة .
(٢-٣) - معنى البركة فى الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة .
(٢-٤) - أثر الإيمان والتقوى فى بركة الأرزاق .
(٢-٥) - أثر التوكل على الله فى بركة الأرزاق .
(٢-٦) - أثر الالتزام بالأخلاق الحسنة فى بركة الأرزاق .
(٢-٧) - أثر الالتزام بالضوابط الشرعية فى بركة الأرزاق .
(٢-٨) - أثر إتقان العمل وتحسينه فى بركة الأرزاق .
(٢-٩) - أثر الاستغفار فى بركة الأرزاق .
(٢-١٠)- خاتمة .

obeikandl.com

(٢ ــ ١) ــ تمهيـــد

سبحان الله الذى وعد الذين يطيعونه بالفوز فى الحياة الدنيا وفـى الآخـرة ، فـهو القائل : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً** ﴾ (الأحـزاب : ٧١) وكـان صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم والمؤمنون مطيعين لأوامر الله وهدى رسـوله ﷺ ولقد ورد عنـهم قـول الله ﷻ : ﴿ **وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ (البقرة :٢٨٥) ، وكان من أثر ذلك أن أحياهم الله سبحانه وتعالى حياة طيبـة رغدة فى الدنيا ، وفازوا برضاء الله فى الآخرة ، فقال جل شأنه : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ (النحل : ٩٧) ، والطاعة تكون لله ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ولا ينبغى لأحد أن يتحرج من طاعة الله ﷻ خشية الناس ، فالله ﷻ أحق أن نخشاه مصداقا لقوله ﷻ : ﴿ **فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾ (التوبة :١٣) ، وقوله ﷻ : ﴿ **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾ (النـور :٥٢)

وطاعة الله سبحانه وتعالى تتمثل فى الاستجابة لأوامره والابتعاد عـن معاصيـه ، وأن يكون ذلك شاملاً لكل جوانب الحياة ، وليس فى الشعائر فقط كما يظن بعض النـاس ، ومن ثمرات الطاعات تحقيق البركات فى الأرزاق ، وتعنى زيادة المنافع المشروعة التـى تعين المسلم على أن يحيا حياة رغدة طيبة عابداً وشاكراً لله علـى رزقـه ونعمـه ، ولا تقتصر البركة على الرزق العينى المادى ولكن تشمل الرزق المعنوى الحسى الذى يحقـق الإشباع الروحى للمسلم .

وفى هذا الفصل من الكتاب سوف نبين أثر طاعة الله فى تحقيـق البركـات فـى الأرزاق فى ضوء ما ورد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكذلك فى ضوء أقـوال العلمـاء والفقهاء من السلف والخلف رضوان الله عليهم أجمعين .

ومن الطاعات التى سوف نركز عليها : الإيمان بالله ﷻ وخشيته والتوكـل عليـه والالتزام بالأخلاق الحميدة مثل : الصدق والأمانة والوفاء وصلـة الأرحـام ، والالـتزام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية ، والعمل المتقن المجود ، وأخيراً نتناول أثر الاستغفار فى تحقيق البركات فى الأرزاق .

(٢-٢) - معنى الطاعات فى ضوء القرآن والسنة

الطاعة معناها : الامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ، أى فعل المأمور به سواء كان فريضة،أو واجباً،أو نافلة، وكذلك الامتناع عن فعل المنهى عنه.

وتدور الطاعة مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولقد أمر الله عباده بذلك فى العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، مثل قوله : ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ (آل عمران :١٠٤) ، وقوله ﷻ : ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (آل عمران :١١٠) ولقد أمرنا رسول الله ﷺ بذلك فقال : " **يا أيها الناس مروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم ، إن الأمر بالمعروف لا يقرب أجلاً ، وإن الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم وعمهم البلاء** " (الطبرانى) ، وعن حذيفة بن اليمان ﷺ ،عن النبى ﷺ قال : " **والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم** " (رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح)

وثواب طاعة الله ورسوله، الحسنات ، فالحسنة تأتى من الطاعة والسيئة تأتى من المعصية ، ولقد ورد فى القرآن الكريم آيات مباركات حول هذا المعنى ، منها قوله ﷻ : ﴿ **فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً** ﴾ (الفتح :١٦) ، وقوله سبحانه وتعالى:﴿ **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾ (النور :٥٢) .

ومن أركان الطاعة الفهم الصحيح للإسلام بصفة عامة ، والعلم التام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية ، ومعرفة الحلال والحرام ، فقد يعمل المسلم عملاً فيه معصية لله وهو لا يدرى ، أو لا يقوم بعمل وفيه طاعة لله وهو لا يدرى ، ولقد ذكر الله ذلك فى كتابه الكريم فى مواضع كثيرة ، منها قوله تبارك وتعالى : ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين**

أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (الكهف :١٠٣-١٠٤) ، كما أن من مداخل الشيطان تزيين العمل السيئ ، يقول ﷲ تبارك وتعالى : **﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ﴾** (محمد :١٤) ، وقوله سبحانه وتعالى : **﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن ﷲ يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون ﴾** (فاطر:٨) .

(٢-٣)- معنى البركة فى الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة

تعنى البركة بصفة عامة النماء والزيادة ، وقيل كذلك إن البركة تعنى الكثرة فى كل خير ، يقال بارك ﷲ الشيء وبارك فيه وعليه ، يعنى وضع ﷲ فيه النفع والخير الكثير .

وفى مجال العبادات يقصد بالبركة السعادة ، ففى التشهد يقال :السلام عليك أيها النبى ورحمة ﷲ وبركاته ، أى أسعدك ﷲ وشرفك ومجدك .

ويقصد بالبركة فى الأرزاق الزيادة والكثرة فى المنفعة المعتبرة شرعا والرزق المبارك هو الذى وضع ﷲ فيه الخير الكثير ، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى كثير من الآيات : يقول ﷲ سبحانه وتعالى : **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾** (الإسراء :١) ، فلقد فسر الفقهاء كلمة باركنا حوله فى هذه الآية بأن الأرض التى حول المسجد طيبة خصبة بكثرة زروعها وثمارها وخيراتها[١] .

كما ورد قول ﷲ سبحانه وتعالى : **﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾** (الأعراف :٩٦) ، ومعنى البركات فى هذه الآية : الخيرات الكثيرة : الماء والزروع والثمار وما فى باطن الأرض من معادن وثروات .

---

[١] - ابن كثير ، جـ٣ ، صفحة ٣ .

وفى سورة فصلت يوضح الله ﷻ أنه خلق الأرض فى يومين وبارك فيها وقدر فيها أقوات المخلوقات فقال تعالى : ﴿ **قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين** ﴾ (فصلت :٩-١٠) ، ومعنى بارك فيها أى جعل فيها الخير الكثير والمنافع للناس .

وفى السنن ما يدل على أن البركة بمعنى الخير الكثير والنفع والسعادة ، فعن ابن مسعود ﷺ قال : " ولد لى غلام فأتيت به النبى ﷺ ، **فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلىّ** " (البخارى ومسلم) ومن الدعاء المأثور عن النبى ﷺ لوالدى المولود " **بورك فى الموهوب ، وشكرتم الواهب ، وبلغ أشده ، ورزقتم بره** " ، وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة دعا ربه فقال : "**اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلته بمكة من البركة** " (البخارى ومسلم) ، وعن أبى هريرة ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى بأول الثمر قال : " **اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى ثمرنا وفى مُدّنا وفى صاعنا ، بركة مع بركة ، اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليلك ، وإنى عبدك ونبيك وإنه دعاك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ، ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان**" (مسلم) ، ومن المأثور عن الرسول ﷺ من أدعية الزواج : يقال لمن تزوج : " **بارك الله لك وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير** " (البخارى ومسلم) .

ومن دعاء وتحية المسلمين لبعضهم البعض السلام والرحمة والبركة وهذا وارد فى صيغة السلام : " **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته** " ، وأيضاً فى مجال المعاملات ، حيث يدعو البائع للمشترى عندما تعقد الصفقة ، " **بارك الله لك فى بيعك** " ، وتعنى أن يزيد ربنا لك فى قيمة المبيع ، روى البخارى أن المهاجرين لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد ابن الربيع : فقال سعد لعبد الرحمن : إنى أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك ! فسمها لى أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال عبد الرحمن :"**بارك الله لك فى أهلك ومالك ، أين سوقكم**"[1]

---

[1] - الشيخ محمد الغزالى ، " فقه السيرة " ، دار الدعوة ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص٢١١ .

(٢-٤) -أثر الإيمان والتقوى فى بركة الأرزاق

من الأوامر التى يجب أن تطاع ، الإيمان بالله عز وجل وتقواه ، ولقد تكرر ذلك فى العديد من الآيات ، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعو الله** ﴾ (محمد :٣٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ **أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون** ﴾ (نوح :٣) ، وليس الإيمان بالله ﷻ شعاراً وقولاً باللسان ، ولكن عمل باستشعار ومراقبة الله ﷻ ، ولقد فسر ذلك رسول الله ﷺ فقال : " **ليس الإيمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل** " (متفق عليه) ، فلابد من أن تحرك قوى الإيمان الكامنة فى القلب الجوارح بالعمل الصالح ، وهذا دليل الإيمان السليم مصداقاً لقوله ﷺ : " **لا يقبل إيمان بلا عمل ، ولا عمل بل إيمان** " (رواه الطبرانى).

ولقد ربط الله ﷻ بين الإيمان والتقوى والبركة فى الأرزاق فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** ﴾ (الأعراف :٩٦) ويقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : "**ولو أن أهل القرى آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعوه ، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتح الله عليهم قطر السماء ونبات الأرض**[١]" ، ولقد ورد فى فتح الرحمن فى تفسير القرآن : **من يتق من أهل القرى ويصبر فإن الله لا يضيع أجره ، لا فى أولاه ولا فى عقباه، فالمؤمنون المتقون تفتح عليهم خيرات السماء وثمرات الأرض نامية مزيدة متعاظمة**[٢].

ولقد علق صاحب الظلال على هذه الآية تعليقا يتفق مع سياق المقام الذى نحن بصدده ، يقول الإمام سيد قطب : " **...فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به**

---

[١] - ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، جـ٢ ، صفحة ٢٢٥ .

[٢] - د . عبد المنعم تعيلب ، " فتح الرحمن فى تفسير القرآن " ، جـ٢ ، ص١٠٤٥ .

وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح ، وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش فى شقوة مهددة فى أمنها ، مقطعة الأواصر بينها ، يسود الناس فيها القلق ، وينتظرها الانحلال ، فهى قوة بلا أمن ، وهو متاع بلا رضى ، وهى وفرة بلا صلاح ، وهو حلضر زاهٍ ينتظره مستقبل نكد ، وهو الابتلاء الذى يعقبه النكال ، إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى ، بركات فى الأشياء ، وبركات فى النفوس ، وبركات فى المشاعر ، وبركات فى طيبات الحياة بركات تنمى الحياة وترفعها فى آن ، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردى والانحلال[1]"

وقال ﷲ تعالى : ﴿**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون**﴾(المائدة : ٦٥-٦٦) ، تؤكد هذه الآيات أن الإيمان والتقوى وتطبيق شرع ﷲ من موجبات الأرزاق فى كل الأديان الإلهية .

ومن المنظور الاقتصادى الإسلامى ، فإن المسلم التقى الذى يؤمن بأن العمل عبادة وطاعة وعزة ، ويأخذ بالأسباب ، ويتقن الصنعة ، ويجود المنتج ، فهذا يحقق البركة والنماء فى المال والزيادة فى الربح ، ويعنى أن ﷲ ﷻ يزيد له من الانتفاع فيما أعطاه ، وهذه هى البركة التى وعدها ﷲ لعباده المؤمنين المتقين ، حيث تكون البركة فى الحياة الدنيا ، والأجر فى الآخرة ، مصداقاً لقول ﷲ تبارك وتعالى : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ (النحل : ٩٧) .

---

[1] - سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، الجزء الثالث ، صفحة ١٣٣٩ – ١٣٤٠ .

ويقول الدكتور يوسف القرضاوى فى هذا الخصوص ما يلى : " **إن الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة توجب علينا أن نوازن بين ديننا ودنيانا ، وأن نتعبد لله بمراعاة سننه الكونية ، وأن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة وأن نغرس ونزرع ونصنع ونقوم بكل علم أو صناعة تحتاج إليها الأمة فى دينها ودنياها ، وهذا ما اعتبره فقهاء المسلمين فرض كفاية ، تأثم الأمة كلها بالتفريط فيه ، إن التقوى المنشودة ليست مسبحة درويش ، ولا عمامة متمشيخ ، ولا زاوية متعبد ، إنها علم وعمل ، ودين ودنيا ، وروح ومادة ، وتخطيط وتنظيم ، وتنمية وإتقان ، وإنتاج ، وإتقان وإحسان**[1]"

ويعتبر الإيمان والتقوى من البواعث الذاتية للسعى والضرب فى الأرض لجلب الرزق ، كما أنها من موجبات العمل المخلص الصادق الأمين ، ومن دوافع إتقان العمل وتحسينه ليزداد الطلب عليه سواء كان منتجا أو خدمة ، فينمو المال ويتحقق النماء ويزداد الكسب، وهذا كله يظهر عظمة الإسلام الذى يمزج بين الجوانب الإيمانية والجوانب المادية فى إطار متوازن بحيث يحقق مطلوبات الروح والجسد معا ، فيحيا الإنسان حياة طيبة كريمة .

(٢-٥) - أثر التوكل على الله فى بركة الأرزاق

من عقيدة المسلم حسن التوكل على الله فى جميع أعماله ، وهذا من دليل الإيمان الصادق ، ولقد أمرنا المولى ﷻ بذلك فى العديد من الآيات القرآنية فى قوله :﴿ **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** ﴾ (المائدة : ٢٣) ، وقوله سبحانه وتعالى :﴿ **الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ (التغابن : ١٣) ، ويقول الرسول ﷺ فى السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب : " **هم الذين لا يسترقون ، ولا يكتوون ،**

[1] - د. يوسف القرضاوى ، " دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى " ، مرجع سابق ، ص ١٥٣-١٥٤

ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون " (متفق عليه) ، ويقول الإمام ابن قيم الجوزية : " **التوكل نصف الدين ، والإنابة النصف الثانى ، فإن الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل استعانة ، والإنابة هى العبادة** [1]" ... ويقول : ولا يقدح التوكل الأخذ بالأسباب بل يجب الأخذ بكافة الأسباب المطلوبة لأى عمل ، فلا كسب بلا جهد ، ولا ثمرة بدون الأخذ بأسبابها الفطرية ... ونتائج المسببات يفوضها العبد إلى الله الخالق الرازق ، ومن ناحية أخرى ، لا ينبغى للمسلم أن يعتقد أن الأخذ بالأسباب وحدها واعتبارها كل شىء مجردة من مشيئة الله وقدرته ، ففى ذلك كفر وشرك .

وفى مجال ربط التسبب والتوكل بالأرزاق ، نجد القرآن الكريم يتضمن نماذج حيّة عظيمة توضح وتنظم المفهوم السليم للتوكل ، وأثره على الرزق ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ (الطلاق : ٢-٣) ، وقد قرأ النبى ﷺ هذه الآية على أبى ذر وقال له : " **لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم** " ، يعنى لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك فى مصالح دينهم ودنياهم ، وقال أبو فرج بن رجب الحنبلى : **إن تحقيق التوكل لا ينافى السعى فى الأسباب التى قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها وجرت سنته فى خلقه بذلك ، فإن الله تعالى أمر بتعاطى الأسباب مع أمره بالتوكل ، فالسعى فى الأسباب بالجوارح طاعة له ، والتوكل بالقلب عليه إيمان به .. من طعن فى الحركة يعنى فى السعى والكسب فقد طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ، فالتوكل حال النبى ﷺ ، والكسب سنته ، فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته** [2]".

---

[1] - ابن قيم الجوزية ، " مدارج السالكين " ، جـ٢ ، ص١١٩ .

[2] - زين الدين أبى فرج بن رجب الحنبلى ، " جامع العلوم والحكم " ، دار الدعوة ، ص٣٨٠ .

وفى هذا المقام يؤكد الدكتور يوسف القرضاوى : "**على أن المؤمنين المتقين هم الذين يأخذون بالأسباب ، ويجتهدون أن يكونوا دائما ، أحسن عملاً ، مسلحين بالتوكل على الله معتصمين بمكارم الأخلاق ، ولهذا يبارك الله جهودهم فى الدنيا ولا يضيع أجرهم فى الآخرة** [1] " ، وهذا المعنى سبق أن أوضحناه من قبل ، حيث يصعب الفصل فى حياة المؤمن بين القيم والأخلاق والمعاملات ونحو ذلك فكله يمثل منظومة واحدة ونظاماً متكاملاً مثل الجسد الواحد ، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ (الملك : ١٥) ، يقول ابن كثير رحمه الله : " **أن الله ذكر نعمه على خلقه فى تسخير الأرض لهم وتذليله إياها بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار وقال لخلقه : سافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ، فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل .. فالله عز وجل المسخر الميسر المسبب**" [2].

ويضيف صاحب الظلال إلى ما سبق : "**أن الرزق الذى فى الأرض كله من خلق الله ، وكله من ملكه ، وهو أوسع مدلولا مما يتبادر إلى أذهان الناس من كلمة الرزق ، فليس هو المال الذى يجده أحدهم فى يده ، ليحصل على حاجاته ومتاعه ، إنما هو كل ما أودعه الله هذه الأرض من أسباب الرزق ومكوناته**" [3].

---

١ - دكتور يوسف القرضاوى ، " أولويات الحركة الإسلامية " ، دار الرسالة ، صفحة ٦٠ .

٢ - ابن كثير ، " تفسير القرآن العظيم " ، الجزء الرابع ، ص٣٨٤ .

٣ - سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، الجزء السادس ، ص ٣٦٣٨ .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا** " (رواه أحمد والترمذى وقال حديث حسن صحيح) ، ونستنبط من هذا الحديث مجموعة من المفاهيم يجب الوقوف عندها منها ما يلى :

- صدق وحسن التوكل على الله ، وهذا المشار اليه فى الحديث " حق توكله" .
- نموذج توكل الطير : يتضمن هذا النموذج السعى والأخذ بالأسباب وهذا واضح جلى فى قوله ﷺ **تغدو** ، **وتروح** ، فالطائر لم يسكن فى عشه ويأتيه الرزق ، بل غدى وراح .
- نستفيد من ذلك الحديث أن المسلم لا ينبغى له أن يترك العمل ، ويتواكل ويتكاسل ، ويرضى بالذل والهون والدنية رافعاً شعار التوكل على الله ، ويكون عالة على غيره ، فالسعى فى طلب الرزق عبادة .

ولا يجوز إهمال الأخذ بالأسباب التى خلقها الله لعباده ويسرها لهم ، فقد جاء رجل على ناقة إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أدعها وأتوكل ؟ ، فقال رسول الله ﷺ له : " **اعقلها وتوكل** " (رواه الترمذى وابن حبان بسند جيد) ، ومعنى اعقلها : قيدها ، فقد رفض رسول الله مبدأ التراخى والتهاون والتكاسل بأن يترك الرجل الناقة فى الفلاة بدون ضابط معتقداً بأن الله سوف يحفظها بدون الأخذ بأسباب الحفظ ، فقال له رسول الله ﷺ : " **اعقلها** " ثم توكل على الله .

ويحث رسول الله ﷺ الناس على الأخذ بالأسباب فى طلب الرزق ، فيقول ﷺ : " **ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** " (البخارى) .

فلا يستقيم التوكل مع نفى الأسباب ، بل يجب على المتوكل أن يسير مع الأسباب معنى ومبنى ، وفى هذا المقام يقول ابن قيم الجوزية : " لا تقوم عبودية الأسباب إلاّ على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلاّ على قدم العبودية[1]"

---

[1] - ابن قيم الجوزية ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، صفحة ١٢٥ .

ويروى أن عمر بن الخطاب ﷺ لقى ناسا من أهل اليمن ، فقال من أنتم؟ قالوا نحن المتوكلون ، قال بل أنتم المتواكلون ، إنما المتوكل الذى يلقى حبه فى الأرض ويتوكل على الله [1].

(٢-٦) - أثر الالتزام بالأخلاق الحسنة فى بركة الأرزاق

لقد أثنى الله ﷻ على رسوله الكريم محمد ﷺ فقال له : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (القلم : ٤) ، ويقول الرسول ﷺ عن نفسه : " **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق** " (أبو داود) ، وربط الرسول ﷺ الإيمان بالأخلاق فقال : " **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقا** " (رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح) .

ولقد أمرنا الله ﷻ بحسن الخلق فقال : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ (فصلت:٣٤) ، والالتزام بالأخلاق الحميدة من منظور الإسلام عبادة وطاعة وامتثالاً لأوامر الله ﷻ ، ولقد تمكن التجار المسلمون من نشر الإسلام فى كثير من دول العالم من خلال حسن خلقهم أثناء التعامل مع غير المسلمين ، وربحوا فى التجارة مع الله وفى التجارة مع الناس .

والالتزام بالأخلاق الحميدة يحقق البركة فى الأرزاق ، فإذا كانت الأخلاق السيئة مثل الكذب والغش تمحق الرزق ، فإن الأخلاق الحسنة مثل: الإخلاص والصدق ، والأمانة ، وحسن المعاملة ، وحسن الوفاء والأداء ، والعدل ، والتسامح ، والتيسير وصلة الأرحام تزكى الرزق وتُسبب البركة .

---

[1] - زين الدين أبى فرج رجب الحنبلى ، مرجع سابق ، صفحة ٣٨٤ .

وليس هذا هو المجال لتناول تلك الأخلاق تفصيلا ، فيرجع بشأنها إلى المؤلفات المتخصصة مثل : كتاب الأخلاق للشيخ عبد الله دراز وكتاب خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى ، وكتاب دور القيم والأخلاق فى الاقتصاد الإسلامى للدكتور يوسف القرضاوى ، ولكن نعرض نماذج من تلك الأخلاق ودورها فى تحقيق البركة فى الأرزاق .

* **أثر خلق الأمانة فى بركة الرزق** : يبارك الله ﷻ للمسلم الأمين فى معاملاته ، ولقد رفع رسول الله ﷺ منزلة التاجر الصادق الأمين إلى مرتبة الشهداء والصالحين فى الآخرة ، فقال ﷺ : **" التاجر الصدوق الأمين مع الصديقين والشهداء "** (الترمذى) ، والتفسير الاقتصادي لهذا الحديث وهو أن الناس يفضلون التعامل مع التاجر الأمين الصادق الذى لا يغش ولا يدلس ولا يقامر ولا ينقض المواثيق والعهود ، وهذا يؤدى إلى زيادة التعامل معه فتزداد مبيعاته وينمو ماله ويبارك الله له فى ربحه .

* **أثر خلق الصدق فى بركة الرزق** : الصدق مجلبة للرزق الطيب الحلال المبارك ، والكذب ممحقة للرزق ، ولقد أمر الرسول ﷺ بالصدق فى كل شىء ، وشدد على التجار بصفة خاصة ، فقال : **" إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا ، إلا من اتقى الله وبر وصدق "** (الترمذى) ، وقال فى حديث آخر رواه ابن ماجه وابن حبان : **" إن التجار هم الفجار ، قالوا يا رسول الله : أليس الله قد أحل البيع ؟ ، قال بلى ولكنهم يحلفون فيأثمون ، ويحدثون فيكذبون"** فإذا كان الكذب ممحقة للرزق ، فإن الصدق مجلبة للرزق .

* **أثر خلق الشكر فى بركة الرزق** : الحمد والثناء على الله ﷻ بما أنعم ورزق ، وشكره عليه يحقق البركة والزيادة العددية والمعنوية والحسية فيه ، يقول الله تبارك وتعالى : **﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾** (إبراهيم :٧) ، ولقد أمرنا

الرسول ﷺ بالشكر فى كل الأحوال فقال : **" من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب "** (رواه أحمد وابن ابى الدنيا) ، ويقول ابن قيم الجوزية : " الشكر منزلة فوق منزلة الرضا ، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان ، فالإيمان صبر وشكر ، وقد أمر الله به ونهى عن ضده ، ووعد أهله بأحسن الجزاء وجعله سببا للمزيد من فضله ... "[1]

* **أثر خلق القناعة والعفاف فى بركة الرزق** : الرضا التام بما أعطى الله ﷻ من الرزق يحقق البركة فيه ولو كان قليلا ، فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **" قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه "** (رواه مسلم) ، وعن حكيم بن حزام ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم سألته فأعطانى ، ثم قال : **يا حكيم : إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراق نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى "** (متفق عليه) ، ويقول الرسول ﷺ : **" من أصبح منكم آمنا فى سربه ، معافا فى جسده ، عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها "** (رواه الترمذى) ، وكان الإمام على ﷺ يدور فى الأسواق ويقول : **" معاشر التجار خذوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره "** ، ويقول ابن خلدون : **" إن الربح بالنسبة لأصل رأس المال يجب أن يكون نذرا بسيطا ، لأن المال إذا كثر عظم الربح لأن القليل فى الكثير كثير "** ، ويقول الرسول ﷺ **" ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد إلا رفعه الله"** (البخارى ومسلم والترمذى) ، ولقد ورد فى الأمثال والحكم : **القناعة كنز لا يفنى .**

---

[1] - ابن قيم الجوزية ، " مختصر مدارج السالكين " ، دار الدعوة ، صفحة ٨٩ .

* **أثر خلق صلة الرحم فى بركة الرزق :** الرحم مشتقة من اسم الله "**الرحمن**" ومن صفات الله الرحيم ، وأمرنا الله ﷻ بصلتها فى كثير من الآيات وجعل ذلك من صفات المؤمنين المتقين ، فقال تعالى : ﴿ **واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام** ﴾(النساء : ١) ، وقال ﷻ : ﴿ **وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين** ﴾ (الأحزاب : ٦) ، وجعل الله من يقطع رحمه من المفسدين فى الأرض ، وهذا وارد فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ (محمد : ٢٢) ، وفى الحديث القدسى ، قال الله ﷻ: " **أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن يصلها أصله ، ومن يقطعها أقطعه فأبتُّه** "(الإمام أحمد وأبو داود والترمذى) .

والأحاديث النبوية الشريفة عن صلة الرحم قوله ﷺ : "**إن الرحم معلقة بالعرش ، وليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها** " (البخارى وأحمد) .

وعن علاقة صلة الرحم بالأرزاق ، يقول الرسول ﷺ " **من سره أن يُبْسَطَ له فى رزقه وأن يَنْسَأَ له فى أثره فليصل رحمه** " (البخارى) ، والمعنى أن الله ﷻ يوسع أرزاق من يصل رحمه ، ويطيل له فى عمره.

* **تعليق على دور الأخلاق فى جلب الرزق**

فى الماضى كان الفكر السائد هو فصل الأخلاق عن جلب الأرزاق ، وترتب على ذلك الكثير من المشكلات النفسية والسلوكية والاجتماعية ولا سيما فى مجال الأعمال .. والتى صعب حلها من خلال النظم واللوائح والقوانين ، وظهر فكر جديد يتزعمه العديد من المفكرين الغربيين بضرورة العودة مرة أخرى إلى القيم والأخلاق ، وتقوم نظريتهم الجديدة على المبدأ القائل : " **الأخلاق الحسنة تؤدى إلى أعمال تجارية رابحة** " ، وبلغة أخرى ، **الالتزام بالأخلاق يقود إلى مزيد من الأرزاق .**

وهذه النظرية الجديدة ، تعتبر من أصول الفكر الإسلامى ، ولكن الباعث على الالتزام بالأخلاق فى جلب الأرزاق فى الإسلام هو الإيمان الكامن فى النفوس ووجود الضمير الحى الرقيب على المسلم فى السر والعلن ، وأن الامتثال بالأخلاق من واجبات الدين والطاعة لله ولرسوله ، وبهذا يبرز الفرق بين بواعث الالتزام بالأخلاق فى الفكر الإسلامى وفى الفكر الوضعى[1].

(٢-٧) - أثر الالتزام بالضوابط الشرعية فى بركة الأرزاق

الصلاح والإخلاص من موجبات رضا الله ﷻ وتحقيق البركات ، ولقد ورد ذلك فى قول الله تبارك وتعالى فى نهاية سورة الكهف : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾(الكهف : ١١٠) ويكون العمل صالحا إذا كان مطابقا لشرع الله سبحانه وتعالى ، ومن يحيد عن ذلك لا يبارك الله له فى رزقه ولا فى ولده ، ولا فى أى شىء حتى ولو بسط له الرزق فهذا ابتلاء واستدراج ثم يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

والملتزم بشرع الله لا يضل ولا يشقى بل يبارك الله له فى رزقه ، وأصل ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **فإما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ..** ﴾(طه : ١٢٣-١٢٤) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا** ﴾ (الجن : ١٦-١٧) ، وهذا من سنن الله سبحانه وتعالى فى خلقه ، ليس فى أمة سيدنا محمد ﷺ فقط بل فى الأمم السابقة كذلك ، فقد قال الله فى أهل الكتاب : ﴿**ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل**

---

[1] - لمزيد من التفصيل يرجع إلى مؤلفنا : " الميثاق الإسلامى لقيم رجال الأعمال " ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾(المائدة : ٦٥-٦٦) ، ولقد ورد عن القرطبى فى معنى هذه الآيات .. **ولو أنهم عملوا بمقتضى التوراة والإنجيل وعدم تحريفهما لوسعنا عليهم فى أرزاقهم وأكلوا أكلا متواصلاً ، فجعل الله التقى من أسباب الرزق ووعد بالمزيد لمن شكر ..** "[1]، وقال صاحب تفسير غرائب القرآن : **لو عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله تعالى ، ومن الإقرار بنبوة محمد ﷺ وحافظوا على أحكامهما وحدودهما أو أقاموا نصب** أعينهم تطبيقهما لئلا ينسوا من التكاليف .. والحاصل أنه سبحانه وتعالى وعدهم سعادة الدارين بشرط الإيمان بمحمد ﷺ وقدم السعادة الأخروية بقسميها وهما دفع العذاب ، وإيصال الثواب لشرفها .. من عرف مقصوده فإنه يكون قاصداً له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب[2]"

وهذه التفاسير تقرن الالتزام بشرع الله ﷻ بتوسعة الأرزاق والحياة الكريمة فى الدنيا وبين تكفير الذنوب والفوز بالجنة فى الآخرة وينطبق ذلك على الالتزام بأحكام التوراة والإنجيل بدون تحريف وعلى ما ورد بالقرآن الكريم .

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بالالتزام بالضوابط الشرعية فى مجال جلب الأرزاق بصفة عامة وفى مجال المعاملات بصفة خاصة ، ففصلت السنة الشريفة الحلال لنتبعه ، والحرام لنتجنبه ، كما قنن فقهاء المسلمين ذلك فى صورة مجموعة متكاملة وشاملة من القواعد والأحكام والمبادئ واردة تفصيلاً فى كتب فقه المعاملات[3]، ومن الأحكام الشرعية الواجب الالتزام بها فى جلب الأرزاق ما يلى[4]:

---

[1] - تفسير القرطبى ، الجزء الثالث ، صفحة ٢٢٣٨ .

[2] - نقلاً عن : " فتح الرحمن فى تفسير القرآن " ، مرجع سابق ، جـ٢ ، ص٧٨٢ .

[3] - يرجع فى هذا الشأن إلى أبواب فقه المعاملات فى كتب الفقه .

[4] - لمزيد من التفصيل يرجع إلى مؤلفنا بعنوان : " الالتزام بالضوابط الشرعية فى المعاملات المالية ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧ ، " و الميثاق الإسلامى لقيم رجال الأعمال " ، نفس الناشر ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

- أن يكون مصدر الرزق حلالا طيباً .
- تجنب البيوع غير المشروعة مثل : الاحتكار والاستغلال والغرر والجهالة والتدليس والغش والنجش والعينة والتلجئة .. وكل صيغ البيوع غير المشروعة.
- تجنب المعاملات الربوية ولاسيما التى تقع فى الشبهات .
- تجنب التعامل مع أعداء الدين والوطن الحربيين حتى لا تكون فتنة .
- الالتزام بالأولويات الإسلامية فى الإنتاج والكسب والتعامل والإنفاق .
- إيتاء حق الله فى المال : الزكاة والصدقات .
- إعطاء المجتمع حقه .
- جلب المنافع ودرء المفاسد للمجتمع .
- إعطاء العمال حقوقهم بدون بخس ولا إعضال .
- توثيق المعاملات والعقود والاتفاقيات والإشهاد عليها .
- تجنب الإسراف والتبذير والمظهرية والخيلاء والترف وما فى حكم ذلك .
- التوازن بين نصيب الدنيا ونصيب الآخرة فى توزيع الأرزاق .
- كثرة الاستغفار لتزكية الأرزاق وتنميتها .

(٢-٨) - أثر إتقان العمل وتحسينه فى بركة الأرزاق

العمل فى الإسلام ضرورة شرعى ، وحاجة بشرية ، وعبادة لله ، وامتثالاً لأوامره ، فهو القائل سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ (الملك : ١٥) ، وقوله ﷻ : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** ﴾(الجمعة:١٠) ، يأمرنا الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات المباركات بضرورة السعى والانتشار فى الأرض للحصول على الرزق

الطيب كغذاء مادى للبدن ليقوى على عبادة الله ﷻ ، كما حث رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم على السعى والضرب فى الأرض طلباً للرزق ، فقد قال ﷺ : **" جعل رزقى تحت ظل رمحى "** (رواه أحمد) ، وقال ﷺ **" إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده"** (رواه أحمد) ، وقال ﷺ **"العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها فى طلب الحلال "** (متفق عليه) .

وإتقان العمل وتحسينه فى الإسلام واجب دينى ، ويقصد به بذل أقصى درجات الجهد البشرى والاستعانة بالأساليب والأدوات المعاصرة والمتاحة للوصول بالنتائج إلى الدرجات والمستويات العليا ، ولا يقوم به إلا ذوو الهمم العالية والإرادات القوية .

ولقد ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يدل على وجوب إتقان العمل وتحسينه فى كافة مجالات الحياة لتحسين الجودة [1].

فمما ورد بالقرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى :

* **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾** (الكهف: ٣٠) .
* **﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾**(البقرة :١٩٥) .
* **﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾**(الملك:٢) .
* **﴿ ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ﴾**(النجم:٣١) .

[1] -دكتور فتحى السيد لاشين، " المنهج الإسلامى فى الجودة وأساليب مراقبتها " سما للنشر ، القاهره ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص١٤ .

* ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾(النساء:١٢٥) .
* ﴿ **ليبلوكم أيكم أحسن عملا** ﴾(هود:٧) .
* ﴿ **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾(النحل :٩٧) .

وتدور معانى الآيات السابقة إلى وجوب الإحسان فى حياة المسلم فى العبادات والمعاملات وفى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن ثمرات الإحسان الجزاء الأوفى من الله سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة .

ولقد فصلت السنة النبوية الشريفة الإحسان والإتقان فى العمل ، وأعطى الرسول ﷺ ، نماذج عملية لذلك منها على سبيل المثال : قوله ﷺ : "**إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن** " (رواه البيهقى) ، وجاء هذا الحديث برواية أخرى تحمل نفس المعنى ، يقول الرسول ﷺ : "**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملا أن يتقنه** " (رواه البيهقى) ، ويقول ﷺ : "**إن الله تعالى يحب العبد المحترف** "(رواه الطبرانى) ، ويقول الرسول ﷺ : : "**إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** " (مسلم والترمذى) ، وهذه الأحاديث تشير إلى ضرورة إتقان العمل وتحسينه فى كافة جوانب الحياة

ويحقق الالتزام بالإتقان والجودة منفعة دنيوية وهى زيادة الكسب والمنفعة ، أى البركة فى الأرزاق ، كما أن لذلك ثوابا فى الآخرة لأن إتقان العمل عبادة ، وليس هناك من حرج شرعى فى الاستعانة بأهل الاختصاص والخبرة فى تحسين الجودة ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾(النحل :٤٣) ، وقوله ﷻ : ﴿**ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ (فاطر :١٤) ،

وقوله تعالى ﴿ **فاسأل به خبيرا** ﴾ (الفرقان:٥٩) كما أن الاستعانة بالأساليب الحديثة والمخترعات التى تفتقت عنها عقول البشر بصفة عامة واجب شرعى وضرورة بشرية ، ولقد حث رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: " **الحكمة ضالة المؤمن ، أنى وجدها فهو أحق الناس بها**"(الطبرانى والترمذى)

(٢-٩) - أثر الاستغفار فى بركة الأرزاق

الاستغفار هو طلب المغفرة من المعاصى والذنوب ، ولقد ورد مقترنا بالتوبة فى كثير من الآيات القرآنية ، (والتوبة تعنى الندم والعزم على عدم العودة إلى المعاصى والالتزام بالعمل الصالح) ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان توابا** ﴾ (النصر :٣) ، ويقول ﷻ : ﴿**واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود** ﴾ (هود :٩٠) .

وقال الله فى الحديث القدسى : " **يا ابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** "(الترمذى وقال : حديث حسن صحيح) .

كما ورد بالسنة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث التى تحث المسلمين على الاستغفار والتوبة على دوام الأحوال ، منها قوله ﷺ : " **والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**"(البخارى) ، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة : " **رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم** "(أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح).

والاستغفار من موجبات الأرزاق ، فقد ورد فى القرآن الكريم على لسان سيدنا نوح عليه السلام لقومه : ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا** ﴾ (نوح :١٠-١٤) ، ولقد ورد فى تفسير هذه الآيات العديد

من المعانى العظيمة التى يجب على المسلم أن يعيها تماما، فيقول ابن كثير ﷺ : " **أى ارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب ، فإنه من تاب إليه تاب الله عليه ، ويرسل الأمطار متواصلة يتبع بعضها بعضا ويكثر الرزق عليكم ، ويسقيكم من بركات السماء ، وينبت لكم من بركات الأرض ، ويعطيكم الأموال والبنين ، ويجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار ، ويتخللها بالأنهار الجارية بينهما**[1] ".

ويقول صاحب الظلال رحمه الله فى بيان معنى الآية السابقة : " **قد ربط الله بين الاستغفار والأرزاق ، وفى القرآن مواضع متكررة فيها هذا الارتباط بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله وبين تيسير الأرزاق وعموم الرخاء ، وهذه القاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله ، ومن سنة الحياة ، كما أن الواقع العملى يشهد بتحققها على مدار القرون ، والحديث فى هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد ، وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت اتجاها حقيقيا لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله .. ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعا إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها فى الأرض واستخلفها فيها بالعمران والصلاح سواء**[2]"

كما ربط الله ﷻ بين الأمطار التى هى من أسباب الأرزاق والخيرات فى الأرض فى نداء سيدنا هود عليه السلام إلى قومه (قوم عاد) قوله : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إن أنتم إلا مفترون، يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين** ﴾ (هود :٥٠-٥٢) ، ولقد ورد فى تفسير هذه الآيات أن هودا عليه السلام طلب من قومه الاستغفار الذى فيه تكفير الذنوب والتوبة

---

[1] - مختصر تفسير ابن كثير ، جـ٣ ، صفحة ٥٣٣ .

[2] - سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، جـ٦ ، صفحة ٣٧١٣ .

سما يستكبرون ، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ بأنه[1] ويرسل لهم السماء بالأمطار يسقون بها زروعهم ودوابهم فى الصحراء ، وينتفعون الخصب الناشئ من هطول الأمطار فى تلك البقاع[2].

ومن المعالم الظاهرة فى الآيات القرآنية السابقة العلاقة السببية بين عقيدة التوحيد بين الاستغفار وبين مسببات الأرزاق ومنها الأمطار والأرض وما يخرج منها من لزروع والثمار التى يسعى إليها الناس ومن مطلوباتهم ، وهذا تأكيد على حقيقة شمولية لإسلام وأنه لا يمكن الفصل بين القيم الإيمانية والأخلاقية وبين مسببات الأرزاق .

ولقد فصلت السنة النبوية العلاقة بين الاستغفار والأرزاق فى عديد من الأحاديث لشريفة ، فعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب "**(أبو داود وابن ماجه) ، فمن فضل الاستغفار أن الله ﷻ يفرج به ما يهتم له المسلم ويزيل سببه وينجيه من الهم ويوسع له فى رزقه ويبارك له فيه ، كما أن الاستغفار بتوبة نصوح يطهر ويصلح القلوب ، فتتحرك الجوارح المكلفة بجلب الأرزاق إلى السبل الحلال ، فتكون البركة بإذن الله عز وجل ، ومن ثم فقد وصانا الرسول ﷺ بمداومة الاستغفار وكان الأسوة الحسنة لذلك ، فقال : **" والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة"**(البخارى) ، وقال الحسن البصرى : **" أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة "** .

والاستغفار وقاية من كسب الرزق الحرام أو التعامل مع الخبائث إذا كان صادقا ويقينا ، وهذا يحقق البركة والنماء ، كما أن الاستغفار يضبط المسلم على طريق الفلاح والخيرات .

---

[1] - مختصر تفسير ابن كثير ، جـ٢ ، صفحة ٢٢٢ .

[2] - سيد قطب ، مرجع سابق ، جـ٤ ، صفحة ١٨٩٦ .

(٢-١٠) - خاتمة .

بما أن المعاصى والذنوب تمحق البركات من الأرزاق ، فإن الطاعات والأعمال الصالحات تحقق البركات الظاهرة وغير الظاهرة التى يستشعرها الإنسان بقلبه ، وتتمثل فى زيادة المنافع فى الحياة الدنيا والأجر والثواب فى الآخرة ، والمسلمون فى هذا العصر فى أشد الحاجة إلى أن يفقهوا ما يوجب البركات فى الأرزاق لعلاج ما يشكون من المحق فنجدهم يصطرخون ويقولون:

- الراتب ليس فيه بركة .
- مال كثير ولا يكفى مؤنة الحياة .
- عندما يأتى المال يفتح له أكثر من باب .
- يا ليت أحدا يأخذ مالى ويرد لى عافيتى .
- لماذا ابتلانا الله بالأمراض .
- وهكذا .

فلو أن هؤلاء عرفوا ما يحقق لهم البركة فيما رزقهم الله ، واستقاموا على طريق الأعمال الصالحة وأطاعوا الله ورسوله ، لتحقق لهم الخير فى الدنيا والآخرة ، ولكن أخذهم الله بما كانوا يكسبون ، ويقع على عاتق العلماء والفقهاء ورجال الدعوة الإسلامية المسئولية فى أن يبصروا هؤلاء بالمبادئ والأحكام الإسلامية الموجبة للبركة فى الأرزاق ليلتزموا بها .

وفى ضوء ما سبق بيانه تفصيلا فى هذا الفصل نستنبط منه موجبات تحقيق البركات فى الأرزاق فى صورة وصايا وتوجيهات :

أولا : الإيمان التام بأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكتب له رزقه وأجله ، مصداقا لقول الرسول ﷺ : **" لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا**

فى الطلب ، خذوا ما حل ، ودعوا ما حرم " (البيهقى ، وابن ماجه) ، وهـذا الإيمان يوجه المسلم صوب الحلال ويبعده عن الحرام ، وبذلك تتحقق البركة فى الرزق .

ثانيا : الالتزام بتقوى الله سبحانه وتعالى وتتمثل فى العمل بالتنزيل ، والخوف من الجليل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل " ، والتقوى تعنى استشعار مراقبة الله ﷻ وهذا يضبط المسلم نحو ما يرضى الله ، وبذلك تتحقق البركة فى الرزق .

ثالثا : التسبب والتوكل على الله سبحانه وتعالى الخالق الرازق ، ومن يفعل ذلك بصدق وإخلاص يبارك الله له فيما رزقه ، بل ويرزقه من حيث لا يحتسب ، والتوكل لا يغنى عن التسبب لأن ذلك من السنن الكونية وما يرزق به الله ، يزيد نفعه وبركته عند الإيمان بأنه من عند الله .

رابعا : **الالتزام بالقيم الأخلاقية الحميدة مثل** : الإخلاص والصدق والأمانة وحسن المعاملة وحسن الأداء والقناعة والتسامح والتيسير وصلة الأرحام ، والدافع للمسلم بالالتزام بهذه القيم هو العبادة ، والطاعة لله سبحانه وتعالى ، وليس لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها .. فإذا صدقت النية مع الله تحققت منه عز وجل البركة .

خامسا : إتقان العمل وتحسينه من مسببات الأرزاق ، والالتزام بذلك عبادة وطاعة لله ولرسوله والباعث على ذلك حب الله ، مصداقا لقول الرسول ﷺ : **"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "** (رواه البيهقى) .

سادسا : المسارعة إلى التوبة والاستغفار ، فقد ورد فى القرآن الكريم على لسان سيدنا نوح وهو يدعو قومه ، قوله عليه السلام :﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، مالكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا** ﴾ (نوح : ١٠-١٤) ، وورد عن رسول الله ﷺ : **"من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب"**(أبو داود وابن ماجه) .